طُوِيَ الدَّرب

« في رثاء الشاعر عبدالسلام عيون السود »
(مات ١٥/١/٩٥٤)
قصيدة لم تكتمل ، وشعراً لا يموت

يا أخا الذكريات ، كالوردِ نُضراً ،
طُويَ الدرب ، وانتهى ، فهو ذكرى
طويت (أنت) واستحلت إلى (كنتَ)؛
كذاك العطورُ ، قد كنَّ زهرا
أجفلَ الشعرُ ، في فمي ، يومَ قالوا :
ماتَ عبد السلامِ ، والجرحُ أوْرى
وتلفتُّ ، اسألُ الصحبَ تكذيباً ؛
فأغضوا ؛ ولفَّنا الصمتُ ، مُرّا
رُبَّ صمتٍ ، أقوى من القول تعبيراً ،
وآهٍ تحدت النار جمرا
والقوافي ، في مأتم الشعر ،
إطراقٌ حزين ، او متعبٌ ، طاحَ بهراً

★

يا أخا الذكرياتِ ، يلمحن ، كالصبح ،
كدربِ الربيع ، بيضاً ، وخُضرا
أين أيَّامُنا ؟ — ودارت بنا (أين) ،
شريطاً ، عبرَ الليالي ، وعبرَ ...
من هنا (أين) تملأ الكأسَ شعراً ،
وهنا (اين) تفرغُ الليل ، فجرا
تَثِبُ الذكرياتُ ، خطفاً ، وتجري
فكأنَّ الساعات ، قد حلن نهرا
وكأنا ، على الضِفافِ ، خشوعاً ،
حُلمٌ تائهٌ ، مع الليلِ ، أسرى
نسأل (اليوم) ان يردَّ لنا (أمسِ) ؛
وهيهات ! أصبح الكرمُ خمرا

★

يا شِفاهاً ، على السرابِ ، أكبَّت ،
أنتِ والوهمُ ، فاشربي الوهمَ ، قطرا
تعبَ الظَنُّ ، كلما رامَ ظِلاً ،
قهقهَ الظِلُّ — لا يبوحُ — وفرّا
طأطأ الموجُ ، في الضبابِ ، وأغفى ؛
لا شراعاً ألْفَى ، ولا شامَ برّا

★

أجهش الكأسُ في يدي ، غيرَ صاحٍ ؛
يا لكأسٍ ، يبكي ضياعاً ، وسكراً
نثرتنا الأيامُ ، — حتى كأنا ،
لم نكن مقطعاً ، من الشعر — نثرا
نحنُ سطران ؛ اطفأ الريحُ سطراً ،
وتبعثرتُ — أمضغُ الريحَ — سطراً

★

يا أخا الشعرِ ؛ كيف تسكتُ والليل نداءٌ ،
والكأسُ لم يروَ شِعراً ،
اقسمَ الكأسُ ، ما تزنحُّ إلا
انت خمرٌ ، في الكأس ، او انتَ ذِكرى
ما مررنا بالشعر إلا ذكرناك ،
وطيفٌ ، — كالشعرِ — في الكأس مرّا
وكأني بالذكريات ، إذا ما
قيلَ : عبدُ السلامِ ، ينبضن ، عِطراً

★

الفراغُ الحزين ، يسألُ ، والصمتُ
ظلالٌ ، — تخبو ، مع الهدبِ — حيرى
ويقولون : من تُغنّي ، وتبكي ؟
— انا أدرى ، والشعرُ ، بالشعر ، أدرى

حمص — **وصفي قرنفلي**

لِقاء

قصيدة لم تنشر للشاعر المرحوم عبدالسلام عيون السود

•

أنا يا صديقة مرهق حتى العياء ، فكيف انت ؟
وحدي أمام الموت ، لا أحد ، سوى قلقي وصمتي

والليل ، اعمق ما يكون .. سرى ، وأسفار بعيدة
وهناك في الاعماق ، آهات ؛ واشواق جديدة :

أهفو ؛ فتلتفت الطريق ؛ وتسأل النسمات عني
ويرودُ وجهك في الذهول ؛ فيطمئن اليه ظني .

غمر اللقاء جوارحي ؛ بالورد ابيض ؛ والعبير
وكأن انفاس الصباح ؛ تخط كالرؤيا مصيري .

أسعى اليك مرنحاً ؛ متقطع الخطوات ، مثقل
ومجبهتي ، مثل الرغيف .. وفي شفاهي الشعر يسأل .